دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	القضية الفلسطينية دوليا -3-
المصدر:	شؤون فلسطينية
الناشر:	منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث
المؤلف الرئيسي:	العظم، صادق جلال
المجلد/العدد:	ع 5
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1971
الشهر:	نوفمبر
الصفحات:	209 - 216
رقم MD:	196828
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EcoLink
مواضيع:	الاتحاد السوفيتي، القضية الفلسطينية، الصراع العربي الإسرائيلي، التدخل الدولي، الولايات المتحدة الأمريكية، العلاقات الدبلوماسية، النظم السياسية، الأحوال السياسية، الاتفاقيات الدولية، وسائل الإعلام
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/196828

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

بعد المحاولات السلمية لم يبق الا القـــوة » (الاهرام ٧١/٨/١٧) . ولهذا قامت القـاهرة بحملة ضغط دبلوماسي واعلامي على الاردن ، مطالبة « ان يضع الاردن قواته واسلحته علـى خط المواجهة مع العدو ، وان يحل المشكلـة القائمة بينه وبين المقاومة الفلسطينية واطـلاق حرية العمل لها ، بما يحقق كل الطاقات للمعركـة المصيرية » (الاهرام ٧١/٨/٢٠) .

وقام محمود رياض بتأكيد هذا كله في اجتماعـات وزراء خارجية الدول العربية التي تمت أخـيرا في القاهرة تحت عنوان ما أسماه الضرورات الثلاث: « ١ ــ ضرورة قيام الجبهة الشرقية في الاردن... ٢ ــ ضرورة ازالة الخلافات القائمة بين حكومة الاردن والمقاومة الفلسطينيـة . ٣ ــ ضرورة التعاون العربي المخلص والجاد لحشد الطاقات والجهود العربية في الضغط على حكومة واشنطن التي رفضت ان تتخذ موقفا محايدا في النزاع ، كما رفضت ان تتوقف عن تأييد اسرائيل ومساندتها وتعزيز قدرتها على العدوان وعلى الاحتفاظ بثمار العدوان » (الصياد، العدد ١٤٠٩، ١٦ ــ ٢٣/٩). ومع ذلك ، فان مصر ستوظف هذا كله من اجل السلام ايضا، ومن أجل الوصول الى تسوية . وهي لم تقطع الامل بعد ، وقد طلبت من بريطانيا القيام بمبادرات جديدة ، وطلبت ممارسة تأثـير مباشر على كل من واشنطن وتل ابيب لتحقيـق انسحاب من الاراضي المحتلة في حرب عام ١٩٦٧ . الا ان القاهرة كانت تعلم ، وهي تطالب بريطانيا بالقيام بمثل هذه المبادرة أنها لا تتوقع المعجزات، وهذا هام . ان استمرار تعنت دولة الاحتـلال ، واستمرار انحياز الولايات المتحدة ، واستمرار رفض مصر للتسوية الجزئية واصرارهـا علـى الانسحاب حسب ما نص عليه قرار مجلس الامن سوف يقود الى تطورات ليست في مصلحة التصفية والتسوية . فهل تتمسك مصر برفض التسويـة الجزئية وبالاصرار على الانسحاب الكامل ؟ ان الولايات المتحدة ودولة الاحتلال يعملان مـن أجل اجبارها على التراجع . وقد يكون ذلك عن احدى طريقين : الاولى : دفع الاردن لعقد صلح منفرد ، حسب الشروط الامريكية ــ الصهيونية . الثانية : معركة قصيرة صاعقة ضد قوى مصر الضاربة ومطاراتها ومواقع صواريخها . ولهذا على مصر ان تكون مستعدة لحرب طويلة ، وان تقلع عن فكرة « التفجير المحسوب » الهيكلية (الاهرام ٨/٢٠) .

ناجي علوش

(٣) القضية الفلسطينية دوليا

لم تطرأ اية تطورات هامة على اوضاع النزاع العربي الاسرائيلي في الشهرين الاخيرين اذ تميزت هذه الفترة بهدوء عام بانتظار افتتاح دورة هيئة الامم المتحدة وفتح ملف قضية الشرق الاوسط في جلساتها . بعبارة اخرى اقتصرت التطورات الدولية على مجموعة من التحركات والمواقف الجزئية من قبل الاطراف المعنية التي لم تكن في الواقع سوى امتدادا طبيعيا للاحداث الهامة التي وقعت سابقا مثل زيارة روجرز للقاهرة وزيارة سيسكو لاسرائيل وتوقيع معاهدة الصداقة المصرية السوفياتية والعمل الاميركي على تحقيق مشروع التسوية الجزئية عن طريق الاتفاق على صيغة مقبولة لاعادة فتح قناة السويس .

أصبح من الواضح ان زيارة سيسكو الاخـيرة لاسرائيل (تموز ١٩٧١) لم تحرز النجاح الكـافي في « تقريب وجهات النظر » الاسرائيلية والمصرية (على حد تعبير الدبلوماسية الاميركية) حـــول مشروع التسوية الجزئية . وبعد عودة سيسكو الى واشنطن تسربت انباء اضافية عن محتوى المحادثات التي اجراها في اسرائيل واسباب عدم تكلل مهمته بالنجـــاح . وتتلخص هذه الانباء بالنقاط التالية : ١) عدم اكتفاء اسرائيل بمجرد وعد اميركي بأنه لن يسمح للقوات المصرية والسوفياتية بعبور قنـــاة السويس بعد انسحاب جيش الاحتلال ومطالبـــة اسرائيل بضمانات استراتيجية تمكنها من العودة الى مواقعها في حال انهيار الاتفاق . ٢) رفض اسرائيل اقتراح سيسكو بالسماح لميليشيا مصرية قوامها ٧٥٠ جنديا بعبور القناة بعد انسحاب قوات الاحتلال . كما تردد بأن اسرائيل كانت تعتقد ان القوة الرمزية المصرية التي نوى أميركا اقتراحهـا

لعبور القناة لن يتجاوز عدد افرادها ٥٠ رجلا . وذكر محمد حسنين هيكل في مقاله الاسبوعي (١٣ آب ١٩٧١) على لسان الصحفي رولاند ايفانز ان اسرائيل رفضت فكرة عبور اية قوات مصرية لقناة السويس لان في ذلك اخلالا بمطلب اسرائيلي اساسي وهو نزع سلاح سيناء بالكامل . ٣) رغبة اسرائيل على ما يبدو في تجزئة الانسحاب الى مرحلتين بحيث يتم في المرحلة الاولى انسحاب بسيط جدا لن يسمح فيه لاي جندي مصري بعبور القناة على ان تبدأ مصر مباشرة بتطهير الممر المائي . وتأتي المرحلة الثانية من الانسحاب بعد اعادة فتح القناة واستعادة المدن المصرية على ضفتها الغربية لحياتها الطبيعية . الا ان المصادر الاسرائيلية لم تحدد لسيسكو المسافة التي سيتم الانسحاب اليها في المرحلة الثانية . ويبدو ان سيسكو حمل الاقتراح الاسرائيلي الى واشنطن باعتباره جزءا من الافكار المطروحة حول تحقيق التسوية الجزئية .

ويمكننا القول انه حتى الساعة ما زالت الهوة قائمة بين التصلب الاسرائيلي حول شروط اعادة فتح قناة السويس وبين الحلول الوسط التي تقترحها اميركا . والسبب الرئيسي في ذلك هو تمسك حكومة نيكسون بالالتزام الذي كان الرئيس جونسون قد تعهد به في عدم فرض اية حلول خارجية لازمة الشرق الاوسط لا تريدها اسرائيل ولا تناسب مصالحها ، بالاضافة الى سياسة نيكسون في المحافظة على التوازن العسكري في المنطقة مما يعني على الصعيد السياسي المحافظة على التوازن بين المصالح الاميركية المرتبطة بالعرب والمصالح الاميركية المرتبطة باسرائيل وعدم الاخلال به لاطول فترة ممكنة . على هذا الاساس لا يمكن لاميركا الا ان تمارس دبلوماسية التوازن الشكلي التي تتلخص بعبارة « التقريب بين وجهات النظر » المصرية والاسرائيلية والامتناع عن وضع اي « ضغط » على اي من الطرفين لجعله يقبل بتسوية لا يريدها ولا تتناسب مع مصالحه. وتدعم الولايات المتحدة هذه الدبلوماسية « بالتشويق » بدلا من الضغط المفتوح لكي تجعل الطرفين اكثر تقبلا لحلولها الوسط . على سبيل المثال نذكر الانباء شبه الرسمية التي ترددت حول العرض الذي قدمته اميركا لاسرائيل بالموافقة على بيعها كمية كبيرة من الطائرات الحربية (فانتوم وسكاي هوك) اذا ما ثبتت اسرائيل موقفا اكثر ليونة من المشروع الاميركي لاعادة فتح القناة . كذلك نذكر موافقة حكومة نيكسون ، في هذه المرحلة بالذات ، على ادخال بند في قانون المساعدات الخارجية يسمح بتقديم مبلغ ٥٦ مليون دولار الى الحكومة المصرية (مأخوذ من رصيد الحكومة الاميركية بالعملة المصرية) كمساعدة في سبيل تطهير قناة السويس واعادة تشغيلها عندما يحين الاوان لذلك .

وانسجاما مع دبلوماسية « التشويق » هذه اعلن روجرز في مؤتمر صحافي عقده في واشنطن بأن بلاده تعتزم القيام بدور نشط جدا في محاولة الوصول الى تسوية جزئية في الشرق الاوسط قبل نهاية العام الحالي . ولم يوضح روجرز طبيعة الاجراءات التي تنوي حكومته اتخاذها في ممارسة هذا الدور النشيط الا انه اشار الى ما اعتبره بوادر مشجعة في صدد احتمالات تسوية النزاع بصورة شاملة ونهائية ومن هذه البوادر اهتمام كل من مصر واسرائيل بمشروع التسوية المؤقتة وطلب البلدين من الولايات المتحدة مواصلة جهودها في هذا الاتجاه ، بالاضافة الى استمرار اتفاقية وقف اطلاق النار والتحسن الذي طرأ على المجابهة الكلامية بين مصر واسرائيل على حد تعبيره . وفي اواخر شهر ايلول عاد روجرز الى تأكيد هذا الموقف بعد اجتماعه الى يوثانت حيث اعلن ان حكومته مستمرة في جهودها لتحقيق اتفاقية تضمن اعادة فتح قناة السويس . وجدير بالذكر ان سيسكو وبارينغ حضرا اجتماع روجرز مع يوثانت.

وفي حديث ادلى به الرئيس نيكسون الى بعض الصحفيين في اواخر شهر ايلول عاد الى تأكيد السياسة الاميركية اياها في الشرق الاوسط مشددا على استمرار الدعم الاميركي لتوازن القوى القائم بين الدول العربية واسرائيل والعمل على ابقائه بدون تبديل .

وخلال هذه الفترة نشرت انباء في بيروت تشير الى ان اوساط السفارات الاجنبية في العاصمة اللبنانية تدل في احاديثها الى ان المساعي التي تبذلها الولايات المتحدة للتقريب بين وجهتي النظر المصرية والاسرائيلية حول تفاصيل اعادة فتح القناة قد حققت تقدما لا يستهان به وان لدى واشنطن ما يحملها على التفاؤل في امكان الوصول الى حل وسط بالنسبة الى قضية عبور القوات المصرية والمسافة التي ستنسحب اليها القوات الاسرائيلية.

كما ترددت انباء تقول بأن الحكومة الاميركية طلبت من الاردن التخفيف من الانتقادات التي يوجهها الى السلطات المصرية بسبب قبولها بمشروع التسوية الجزئية الاميركي لان الولايات المتحدة تنوي مضاعفة جهودها لانجاح المشروع قبل نهاية هذا العام .

على صعيد اخر نفت وزارة الخارجية الاميركية بشدة أن يكون الرئيس السادات قد أعطى حكومة الولايات المتحدة مهلة تنتهي يوم ١٥ آب ١٩٧١ لايجاد تسوية سلمية لازمة الشرق الاوسط ، وكان مثل هذا الخبر قد ورد في مقال هيكل الاسبوعي (١٣ آب) كما وجهت الوزارة الاميركية نفسها نقدا علنيا للبيان الذي صدر عن رؤساء دول الاتحاد الثلاثي لانهم تعهدوا فيه بعدم التفاوض والتصالح مع اسرائيل ، وذكر النقد الاميركي ان الاعلان الذي رافق التوقيع على دستور الاتحاد مناقض لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . كذلك ردت واشنطن على تصريحات اطلقها دايان في النصف الثاني من شهر آب حيث دعا اسرائيل الى اعتبار نفسها الحكومة النهائية للاراضي المحتلة . وقد اعتبرت وزارة الخارجية الاميركية تصريحات دايان « ضارة » ومتعارضة مع قبول الحكومة الاسرائيلية بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . وقبل الانتهاء من الكلام عن التحركات الاميركية في الشرق الاوسط لا بد من الاشارة الى ثلاث مبادرات لها شيء من الاهمية : ١) النبأ الذي نشرته « النيويورك تايمس » (٩ آب ١٩٧١) حول قيام الحكومة الاسرائيلية بابلاغ الولايات المتحدة عن اصرارها على شراء صاروخ تكتيكي جديد يعرف باسم « ذي لانس » لم تتزود به الى الان القوات الاميركية نفسها ويعتبر الاسرائيليون انه بالامكان استخدام هذا الصاروخ ، الذي يبلغ مداه ٨٠ ك م ، بفاعلية لتدمير قواعد الصواريخ السوفياتية في الضفة الغربية من القناة . وذكرت الصحيفة ان الدلائل تشير الى ان الحكومة الاميركية لم تبد اية حماسة في الاستجابة لطلب اسرائيل في الوقت الحاضر .

٢) قيام عشرة اعضاء من مجلس الشيوخ الاميركي (تابعون للجنة العلاقات الخارجية) بحث حكومتهم على منح اسرائيل ٢٠٠ مليون دولار لمجابهة حاجاتها الدفاعية الملحة . واذاع الشيوخ رسالة بعثوا بها الى روجرز حيث قالوا ان اي تأخير في تنفيذ هذا الاقتراح يمكن أن يؤدي الى انطباع بأن الولايات المتحدة لا تطبق التزاماتها المتعلقة بالمحافظة على توازن القوى في الشرق الاوسط .

٣) قيام السناتور ادوارد كنيدي (وهو مرشح محتمل لرئاسة الجمهورية) بزيارة قصيرة لاسرائيل في منتصف شهر ايلول حيث اجتمع بغولدا ماير وايبان لبحث مشروع التسوية الجزئية وتزويد اسرائيل بطائرات فانتوم . وصرح كنيدي بأنه مقتنع برغبة اسرائيل الصادقة في السلام . ورحب بتزويدها بالطائرات التي تطلبها. واعلن انه تأثر جدا بالطريقة التي تعتني بها الحكومة الاسرائيلية بالاماكن المقدسة وبتسهيلها زيارة الاماكن للجميع. كما اكد بأن النزاع يجب ان يحل عن طريق اجراء مفاوضات مباشرة بين الطرفين المتخاصمين وليس عن طريق جهة ثالثة وسيطة مثل امريكا او الاتحاد السوفياتي ، وأيد اجراءات « توحيد » مدينة القدس .

أما بالنسبة للاتحاد السوفياتي ونشاطه حيال الازمة في المنطقة فقد استمرت حملته ضد محاولة امريكا احتكار العمل على اعادة فتح قناة السويس (مع ان لهجة الهجوم اخذت تخف مع مرور الوقت) وذكرت الاوساط السوفياتية بهذا الصدد ان الولايات المتحدة تسعى الى استعادة مواقعها المفقودة في العالم العربي بالتحالف مع القوى الرجعية في المنطقة ، كما هاجمت زيارة سيسكو الاخيرة لاسرائيل واعتبرت ان هدفها هو مواصلة تسليح اسرائيل في محاولة لحمل الدول العربية على القبول « بشروط الاستسلام المهينة » . كذلك وجهت النقد الى محاولة امريكا الظهور بمظهر الوسيط « الشريف والمحايد » تحت ستار تقريب وجهات النظر بين الطرفين المعنيين . وصدرت ردود فعل سوفياتية « غير رسمية » اتصفت بالحذر والتحفظ حيال اعلان الاتحاد الثلاثي بين مصر وليبيه وسوريا تضمنت تحذيرا للبلدان العربية من اتباع سياسات معادية للشيوعية وتنبيهها الى ان السعي الى الوحدة العربية دون الاخذ بعين الاعتبار الاوضاع الاجتماعية المختلفة والظروف السياسية المتنوعة للدول العربية لا يشكل الطريق السليم لتحقيق هذا المطمح الوطني . ونددت الاوساط السوفياتية المشار اليها بالقوى الرجعية والقومية اليمينية في البلدان العربية التي تحاول رفع « العلم الاسود » المناوىء للشيوعية.ومعمل بايحاء الفكرة

القائلة انه يجوز الاعتماد على البلدان الاشتراكية في الكفاح ضد الاستعمار والعدوان الاسرائيلي واضطهاد الشيوعيين العرب في نفس الوقت . وواضح من هذه التعليقات ان الاتحاد السوفياتي متضايق من تسليم انظمة الاتحاد الثلاثي بأن مفتاح التسوية السلمية هو بيد الولايات المتحدة كليا وتصرفها على هذا الاساس ، كما انه متضايق من تدهور العلاقات العربية السوفياتية بعد الحملة الدموية التي تعرض لها الحزب الشيوعي السوداني وانعكاساتها في العواصم العربية الاخرى .

ذكرنا في العدد الماضي من « شؤون فلسطينية » ان الصحافي السوفياتي فيكتور لويس قام بزيارة لاسرائيل حيث اجرى محادثات « غير رسمية » مع المسؤولين في وزارة الخارجية حول امكان تحسين العلاقات بين البلدين . وجدير بالذكر ان لويس هو اول مواطن سوفياتي « عادي » يزور اسرائيل بعد حرب حزيران ١٩٦٧ . ومن المعروف عنه انه قام بمهمات دبلوماسية غير رسمية عديدة بتكليف من المسؤولين في بلاده . وجاءت زيارته هذه كجزء من تحرك الاتحاد السوفياتي لانشاء اتصالات اكثر مباشرة مع الطرف الاسرائيلي في النزاع (على غرار العلاقات الامريكية بمصر) بالرغم من انقطاع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين . وقد طرأت عدة تطورات جزئية بالنسبة للتحرك السوفياتي في هذا الاتجاه يجدر بنا رصدها :

١) قام فريق مؤلف من ست شخصيات اسرائيلية بارزة من أصحاب الميول « التقدمية » بزيارة لموسكو في أواخر شهر آب للبحث في علاقات بلادهم مع الاتحاد السوفياتي . جاءت الزيارة تلبية لدعوة من اللجنة السوفياتية للدفاع عن السلام . وجدير بالذكر انه هذه هي المرة الاولى التي تزور فيها مجموعة من المواطنين الاسرائيليين غير الشيوعيين الاتحاد السوفياتي بعد قطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين عام ١٩٦٧ . وقد اجرت البعثة الاسرائيلية مناقشات مع اعضاء لجنة السلام السوفياتية ومع مسؤولين في مجلس السوفيات الاعلى ووزارة الخارجية موضوعها قضية الشرق الاوسط . ولكن يبدو ان البحث لم يتطرق الى تفاصيل موضوع استئناف العلاقات الدبلوماسية بين البلدين . ومن الواضح انه ليس باستطاعة الحكومة السوفياتية تجديد العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل قبل حدوث تغييرات في السياسة الاسرائيلية او في احد العوامل الرئيسية المسيطرة على الازمة الراهنة في المنطقة مثل عودة العلاقات بين مصر والولايات المتحدة في المستقبل القريب . يضاف الى ذلك ان البعثة الزائرة ناقشت مع المسؤولين السوفيات موضوع تسهيل الهجرة لليهود الراغبين في الذهاب الى اسرائيل .

٢) توحي الانباء التي تنشرها وسائل الاعلام الرسمية في موسكو عن زيارة البعثة الاسرائيلية بأن الاتحاد السوفياتي يبذل جهودا مدروسة ولكن متحفظة لاعداد الرأي العام في البلاد لتحسين العلاقات مع اسرائيل مما يعني ازالة الصورة القاتمة التي رسمت في السابق عن اسرائيل ككل واستبدالها بصورة تميز بين السلطات الصهيونية الحاكمة والمتعنتة وبين القوى « التقدمية والمحبة للسلام » في صفوف الشعب الاسرائيلي .

٣) قام الصحافي فيكتور لويس بنشر مقال في اواسط شهر آب في صحيفة « يديعوت احرونوت » بحث به من موسكو تحدث فيه عن الانطباعات التي كونها خلال زيارته الاخيرة لاسرائيل . ذكر في مقاله ان ما يقرب من عشرة آلاف يهودي هاجروا في الفترة الاخيرة من الاتحاد السوفياتي الى اسرائيل وانه قد يهاجر خمسة آلاف آخرون في المستقبل القريب . واشار الى ان المهاجرين يلاقون ترحيبا حقيقيا في اسرائيل وان الروابط بين البلدين تزداد متانة مع كل مهاجر جديد لان هؤلاء ، بحكم وضعهم ، قريبين من الاتحاد السوفياتي وليس من امريكا . ولم تفت لويس الاشارة الى ان الاتحاد السوفياتي يجد نفسه في موقف غريب فهو من ناحية يبعث بالاسلحة الى العرب ومن ناحية اخرى يرسل مواطنين الى اسرائيل سيصبح قسم منهم جنودا في جيشها من ناحية ثانية . وفي ٩ و١٠ ايلول نشر هذا الصحافي السوفياتي مقالين في « الهيرالد تريبيون » (الطبعة الدولية) بعنوان « نظرة سوفياتية الى اسرائيل » ردد فيهما بعض ما جاء في مقاله المذكور آنفا واضاف تفاصيل جديدة مثل قوله ان اللغة الروسية ، وخاصة اللهجة الموسكوفية ، اصبحت مسموعة كثيرا في اسرائيل هذه الايام وقوله « انه توجد ايام الان يصل فيها عدد أكبر من اليهود الروس الى مطار اللد للاستقرار في اسرائيل من عدد اليهود الذي

يصلون من أمريكا بهدف السياحة فقط » . وذكر لويس أنه عندما ابدى شكوكه حول قدرات اسرائيل على استيعاب كل هؤلاء المهاجرين أكد له المعنيون بالامر ان اسرائيل قادرة على ذلك تماما وان هناك احتمالات بزيادة سكان القدس بحوالي ٢٠٠ الف نسمة خلال اربع السنوات القادمة . وعقب لويس على ذلك قائلا أنه بالرغم من هذه التأكيدات فانه « يتخوف من ان يكون على حق في توقعه بأن الاتحاد السوفياتي لن يشهد وحده «مسألة يهودية» في المستقبل القريب بل ستشهدها اسرائيل ايضا . أن الاتحاد السوفياتي وحده هو البلد الباقي الذي يمكن أن تأتي منه اعداد مهمة من المهاجرين الى اسرائيل . وكان من نتائج حرب الايام الستة انها لم تعط اسرائيل المزيد من الاراضي فقط بل أعطتها ايضا النوايا الحسنة لاعداد لا تحصى من اليهود الروس الذين استيقظت في العديد منهم الرغبة في الهجرة » .

ان الاشارة بهذه اللهجة والصيغة الى حرب ١٩٦٧ والى الاراضي العربية المحتلة من قبل صحافي (و « دبلوماسي ») سوفياتي تثير الانتباه والتعجب بدون شك . ولا نريد تحميل الموضوع اكثر مما يحتمل الا ان العلامات أصبحت واضحة : مع الاتجاه نحو تحقيق التسوية السياسية في المنطقة فان العلاقات السوفياتية الاسرائيلية مرشحة للتحسن السريع (على غرار العلاقات العربية الامريكية) مما سيعني السماح لاعداد أكبر من اليهود السوفيات بالهجرة الى اسرائيل ، هذا اذا لم يفتح باب الهجرة كليا ، مع المحافظة على بعض الضوابط ، بعد انجاز التسوية السياسية . ولا نستبعد ابدا ان يكون الاتحاد السوفياتي منهمكا في الوقت الحاضر في استخدام موضوع الهجرة كأداة ضغط على اسرائيل لحملها على تليين موقفها وشروطها بالنسبة لموضوع التسوية السياسية الشاملة للنزاع في منطقتنا .

ويتكلم لويس عن المشكلات التي تواجهها اسرائيل في تأهيل القادمين من الاتحاد السوفياتي لان خبراتهم السابقة كثيرا ما تكون عديمة الفائدة في البيئة الجديدة . كما يتكلم عن الصعوبات التي يواجهها هؤلاء في كثير من الاحيان عندما يكتشفون وقائع الحياة القاسية التي لا يفكر فيها الراغبون في الهجرة الا فيما بعد . ويفاضل لويس بين اليهود القادمين من الاتحاد السوفياتي الذين يريدون البقاء في اسرائيل واليهود الاميركيين الذين يأتون كمجرد سياح لالقاء نظرة سريعة وانفاق المال ثم العودة الى بلادهم .

لم تطرأ اية تطورات مهمة بالنسبة للموقف الاوروبي الغربي من النزاع في الشرق الاوسط بعد نشر نص الوثيقة التي أقرها ممثلو دول السوق الاوروبية المشتركة حول الموضوع (راجع « شؤون فلسطينية » ٤ ، ص ١٩٤) ولا شك ان اكثر التحركات جذبا للانتباه على الصعيد الاوروبي كانت زيارة وزير الخارجية البريطاني ، دوغلاس هيوم ، للقاهرة في أواسط شهر أيلول . كانت هذه اول زيارة رسمية يقوم بها وزير خارجية بريطاني لمصر منذ العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ . وقابل الوزير البريطاني الرئيس السادات مما جعل الزيارة تضفي الصفة الرسمية النهائية على المصالحة بين لندن والقاهرة . كذلك اشارت الانباء الى أن المحادثات كانت ودية جدا وان السادات اعرب عن تقديره للتحسن المضطرد في العلاقات بين البلدين . اما هدف الزيارة فهو اجراء محادثات سياسية على مستوى رفيع من شأنها تحسين فرص التوصل الى تسوية النزاع مع اسرائيل بالطرق السياسية . الا ان الوزير البريطاني لم يقدم اية مبادرة جديدة للخروج من المأزق الراهن تفاديا لاية عرقلة قد تحدث للجهود الاميركية الحالية الرامية الى تحقيق التسوية الجزئية واعادة فتح القناة . وقد ذكرت الاوساط البريطانية ، بهذا الصدد ، أنها على علم بأن حكومة نيكسون تأمل في أن يتم الوصول الى اتفاق مؤقت بالنسبة للقناة قبل نهاية السنة الحالية .

كانت المحادثات مع هيوم ذات طابع واسع ويبدو انها شملت المواضيع التالية : تنمية العلاقات التجارية والثقافية والمالية البريطانية ــ المصرية، ازمة الشرق الاوسط ، مع التشديد على دور الدول الاربع الكبرى ، واطلع هيوم على رأي القادة في مصر بالنسبة لكل وجوه محادثات السلام ، بما في ذلك المحادثات مع الاميركيين حول مشروع التسوية الجزئية . وجدير بالذكر هنا ان الرسميين البريطانيين استاءوا ، في المدة الاخيرة ، مما اعتبروه عزوف الاميركيين عن اطلاعهم على مساعيهم لاقرار السلام . كما شملت المباحثات وجهة الحل السياسي العربي ــ الاسرائيلي ، بعد انتهاء المساعي الراهنة الخاصة بقناة السويس سواء

بالنجاح او الفشل . ويريد البريطانيون ان يعرفوا بصورة خاصة هل الرئيس السادات مستعد للسماح بمفاوضات مباشرة مع اسرائيل .

ومن الانباء التي ترددت عن المحادثات ان الوزير البريطاني سعى الى اقناع السلطات المصرية بالتخفيف من الاعتماد على الاتحاد السوفياتي لان لمصر أصدقاء في الغرب وبحجة ان اعتماد مصر على الاتحاد السوفياتي قد يعرض المصالح الوطنية المصرية للخطر ، وكان الوزير البريطاني قال علنا ان وجود قرابة عشرين الف تقني ومستشار عسكري سوفياتي في مصر ادخل عنصرا جديدا خطرا في قضية الشرق الاوسط المتفجرة . وتردد ان الرئيس المصري اقر ، في احاديث مع بعض الزعماء الاصدقاء ، بأنه يريد خفض عدد المواطنين السوفيات في بلاده ، وان بعض وزرائه أكدوا لمراجع غربية انهم يودون خفض اعتماد القاهرة على السوفيات اذا استقرت اوضاع الشرق الاوسط بصورة عامة . وسيسعى دوغلاس هيوم الى اقناع الحكومة المصرية انه بامكانها الاعتماد على بعض الدول الغربية الرئيسية ، مثل بريطانيا وفرنسا ، للحصول على بعض العون الذي يتلقونه من موسكو .

اما على الصعيد العملي فقد وقع دوغلاس هيوم والسيد محمد مرزبان وزير الاقتصاد والتجارة الخارجية المصري اتفاقا تدفع مصر بمقتضاه مبلغ مليون و٩٠٠ الف جنيه استرليني للشركات البريطانية التي أممت ممتلكاتها في مصر . وقال بيان مصري رسمي ان الاتفاق « يفتح صفحة جديدة في تنمية العلاقات الاقتصادية بين مصر وبريطانيا ». ويأتي هذا الاجراء بعد أن كانت بريطانيا قد انضمت هذه السنة الى عشر دول اخرى لمساعدة مصر على تمويل خط انابيب مزدوج سينقل النفط من البحر الاحمر الى البحر الابيض المتوسط وتبلغ تكاليفه ٢٠٨ ملايين دولار ساهمت بريطانيا بـ ٣٦ مليون دولار من أصلها . وسيبدأ العمل في المشروع هذه السنة وينتهي بعد عامين . وفي خطاب القاه في حفل عشاء في القاهرة شدد دوغلاس هيوم على أن العنصر الاساسي لحل ازمة الشرق الاوسط هو انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧ . وان السلام في المنطقة يجب أن يرتكز على وضع قرار مجلس الامن الدولي موضع التنفيذ كما أضاف انه على القوات الاسرائيلية ان تنسحب الى الحدود القديمة التي كانت قائمة بين مصر وفلسطين اثناء الانتداب البريطاني مع ايجاد ترتيبات خاصة باتفاق الاطراف المعنية في صدد قطاع غزة . وناشد المصريين اظهار المزيد من الصبر والدبلوماسية ، وذكرهم بأنه حتى تسوية مشكلة برلين كانت تبدو بعيدة في وقت من الاوقات الا أنها تحققت . وبعد انتهاء زيارته لمصر صرح الوزير البريطاني ان محادثاته في القاهرة اقنعته بأن مصر ترغب مخلصة في سلام دائم مع اسرائيل ودعا الى اعادة احياء مهمة الدكتور غونار يارينغ ، الوسيط الدولي ، بسرعة وقال ان امام الدول الاربع الكبرى دورا تقوم به في الازمة . كما أوضح ان بريطانيا لا تحاول ان تضطلع بجهود الولايات المتحدة في مساعيها الحميدة بين المصريين والاسرائيليين ، لكن بريطانيا تعتبر ان الامر الاساسي هو ان تقوم الدول الاربع الكبرى بعمل مشترك . لان المشكلة يجب ان تحل عن طريق الجهود المشتركة . كذلك أضاف قائلا ان الدول الاربع الكبرى استطاعت ان تساعد على التوصل الى تسوية في شأن برلين وقد تكون قادرة في الجمعية العمومية للامم المتحدة على تقديم بعض المقترحات البناءة في خصوص قضية الشرق الاوسط .

اما بالنسبة لمصر فقد طلب المسؤولون من الوزير البريطاني ان تستخدم بلاده نفوذها لدى اميركا والسوق الاوروبية المشتركة للعمل على تبديل موقف اسرائيل في موضوع التسوية السياسية للنزاع . وتردد ان الرئيس السادات طلب من هيوم ان تبذل بريطانيا اقصى ما في وسعها للاسراع في التقدم نحو حل سياسي للنزاع لان هذا الحل هو الرغبة الاساسية لمصر . كما اشتكى الرئيس المصري من ان شهرين قد مرا من دون أن تتسلم حكومته أية أخبار من واشنطن حول جهودها للخروج من المأزق الذي وقع فيه مشروعهم في التسوية الجزئية .

بعد القاهرة قام هيوم بزيارة المغرب وجبل طارق في محاولة « لجس النبض » والتفقد على ضوء تزايد القوة البحرية السوفياتية في البحر الابيض المتوسط. واشار هيوم الى ذلك ضراحة في تصريحاته حيث ذكر ان ميزان القوى في شرق المتوسط قد تغير بشكل دائم بوصول سلاح الطيران والاسطول السوفياتي. وصدر بلاغ مشترك عن الزيارة اكد فيه الجانبان المغربي والبريطاني ان هناك ضرورة ملحة في ايجاد حل سلمي للنزاع العربي ــ الاسرائيلي .

على صعيد هيئة الامم المتحدة اجتمع مجلس الامن الدولي ، في النصف الثاني من شهر أيلول بناء على طلب الاردن للبحث في ما تقوم به اسرائيل من اعمال في القدس مثل تهويد المدينة وتغيير معالمها كليا بحيث تخلق أمرا واقعا جديدا يفرض نفسه على أية تسوية تتم في المستقبل للنزاع العربي الاسرائيلي . وقد اجرى الاردن مشاورات موسعة مع الولايات المتحدة للاتفاق على نص مشروع القرار الذي سيقدم الى مجلس الامن مما ضمن نجاحه اثناء التصويت . وفي ٢٥ أيلول تبنى مجلس الامن مشروع القرار المعروض عليه وفيما يلي اهم النقاط التي نص عليها : ١ ــ التأكيد على عدم شرعية اكتساب الاراضي بالقوة . ٢ ــ استذكار القرارين السابقين (٢٥٢ و٢٦٧) المتخذين في مجلس الامن واللذين يدينان اسرائيل لجهة تغيير معالم القدس واعتبار الاجراءات التي اتخذتها اسرائيل في هذا الصدد لاغية . ٣ ــ يستنكر القرار عدم استجابة اسرائيل للقرارات السابقة في شأن القدس والتوصيات المتخذة في هيئة الامم . ٤ ــ الطلب من اسرائيل ايقاف كل اجراء جديد يمكن ان يؤدي الى تغيير معالم القدس او طابعها . ٥ ــ تكليف الامين العام للامم المتحدة ، بعد التشاور مع رئيس مجلس الامن ، اتخاذ كل التدابير التي يراها مناسبة ، بما فيها حق تعيين ممثل او لجنة او استخدام اي جهاز لتنفيذ القرار ، على ان يرفع تقريرا الى مجلس الامن خلال ستين يوما .

وجدير بالذكر هنا ان الولايات المتحدة كانت قد ايدت عام١٩٦٩ القرار رقم ٢٦٧ الصادر عن مجلس الامن الذي ندد باجراءات اسرائيل الهادفة الى تغيير وضع القدس واستنكر فشلها في احترام القرارات السابقة للجمعية العمومية ومجلس الامن حول هذا الموضوع . اما الاتحاد السوفياتي فقد عبر عن رأيه اثناء مناقشة مشروع القرار الاخير في قول مندوبه بأن بلاده على استعداد للاشتراك في أية اجراءات تهدف الى فرض العقوبات الضرورية على اسرائيل بسبب تخلفها عن تطبيق قرارات هيئة الامم المتحدة . ومع ان الجانب العربي الرسمي اعتبر القرار نوعا من التمهيد لاثارة الموضوع مجددا امام مجلس الامن بعد ٦٠ يوما (باعتبار ان اسرائيل رفضت القرار مسبقا ومن المؤكد انها لن تلتزم به اطلاقا) مما قد يعني الوصول الى مرحلة اتخاذ اجراءات دولية فعالة ضد اسرائيل ، الا انه يبدو لنا ان مثل هذا الامل ليس الا سرابا اذ ليس هناك ما يدعونا لان نعتقد بأن مصير قرار مجلس الامن الاخير سيكون افضل من مصير بقية القرارات الصادرة عن هيئة الامم حول القضية الفلسطينية عامة . ان جهود بعض الدول العربية على هذا الصعيد ليست الا مجرد محاولات اخيرة لانقاذ ماء الوجه امام العجز العربي الواضح في ردع اسرائيل عن تهويد القدس وتبديل معالمها بصورة نهائية . وقد وصف مراسل « شؤون فلسطينية » في نيويورك مشروع القرار الاردني الاصلي الذي تم الاتفاق حوله مع امريكا بانه ضعيف جدا حتى بالقياس مع القرارات السابقة الصادرة عن مجلس الامن حول موضوع القدس . ويرى المراسل ان اخطر ما في مشروع القرار هذا ربطه قضية القدس بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ في حين ان الحق العربي في المدينة المقدسة لم يكن مشروطا بشيء في القرارات السابقة لمجلس الامن والجمعية العامة لهيئة الامم. وقد نبه ممثلو منظمة التحرير في نيويورك الى الاخطار التي ينطوي عليها هذا التنازل مثل جعل الحق العربي في القدس عرضة للمساومات والمفاوضات والتنازلات التي سيتضمنها تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ بالضرورة . ونتيجة لجهود بعض الوفود العربية في الهيئة الدولية (باستثناء الوفدين المصري واللبناني) أدخلت بعض التعديلات على مشروع القرار جعلت صيغته النهائية والرسمية افضل ، نوعا ما ، من المشروع الاصلي . لكن مع ذلك امتنعت سوريا عن التصويت في مجلس الامن بحجة ان هذا القرار ، رغم تقويته والتعديلات التي ادخلت عليه ، لا زال ضعيفا ودون المستوى المطلوب وقد أيدت منظمة التحرير الموقف السوري . من ناحية اخرى يبدو ان التركيز الامريكي المصري على ان يبدأ الحل السياسي من مشروع اعادة فتح قناة السويس قد ابعد قضية القدس والضفة الغربية عن الاضواء ولا شك ان جهود الاردن في مجلس الامن تهدف جزئيا الى اعادة الاعتبار والاهمية الى الارض الفلسطينية التي تهم النظام الاردني .

وعلى صعيد آخر وجه يو ثانت (في النصف الثاني من شهر آب) مذكرة شديدة اللهجة الى الحكومة الاسرائيلية طالب فيها بوقف عمليات تشريد اللاجئين الفلسطينيين من قطاع غزة على يد سلطات الاحتلال واعادة الوضع هناك الى حالته الطبيعية . ومع

ان المذكرة سرية الا أنه تسربت أنباء عنها تقول انها استخدمت « لغة قاسية » في شجب الاجراءات الاسرائيلية في المطالبة بعودة اللاجئين الذين شردوا من مخيماتهم . ولم تتوفر اية معلومات اضافية عن هذه المذكرة باستثناء الهجوم الذي تعرض لـه يو ثانت في الصحافة الاسرائيلية بسببها .

وعند افتتاح الدورة الحالية لهيئة الامم المتحدة قدم يو ثانت تقريرا شاملا خصص قسما منه للنزاع في الشرق الاوسط . وكانت اهم النقاط التي أوردها الامين العام هي : ١) انعدام الفائدة من اعادة احياء محادثات السلام تحت اشراف الوسيط الدولي يارينغ ما لم تلزم اسرائيل نفسها بالانسحاب من الاراضي المصرية المحتلة الى الحدود الدولية التي كانت قائمة بين مصر وفلسطين . ٢) ان مصر قبلت بالالتزامات المحددة التي طلبها يارينغ لعقد اتفاق سلام مع اسرائيل ، بالاضافة الى قبولها بكافة الالتزامات الاخرى المتفرعة عنها وذلك وفقا لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . ٣) ان الامين العام ما زال يأمل في ان تقوم اسرائيل بتقديم رد على مطالب ياريـع يجعل من الممكن استمرار البحث عن تسوية سلمية للنزاع باشراف الوسيط الدولي . ٤) عبر يو ثانت عن ارتياحه لاستمرار اتفاقية وقف اطلاق النار بالرغم من تدهور محادثات يارينغ ووصولها الى طريق مسدودة . كذلك عبر عن ارتياحه للهدوء الذي يسود خطوط وقف اطلاق النـار في الاردن وسوريا بالرغم عن عدم وجود اجهزة تابعة لهيئة الامم هناك مهمتها مراقبة اتفاقية وقف اطلاق النار . ٥) شدد التقرير على انه من المستحيل التنبؤ بمدى استمرار هذا الهدوء وان القتال سيتجدد عاجلا ام آجلا اذا استمر المأزق الحالي الذي وقعت فيـه مساعي التسوية السياسية ، خاصة وان الاطراف المعنية قد استغلت الهدوء الحالي لتقوية طاقاتها العسكرية مما سيجعل الجولة المقبلة من القتال أشد عنفا وخطرا مـن الجولات السابقة . هذا بالاضافة الى الخطر الدائم دوما في عدم التمكن من حصر المواجهة في الاطراف الحالية ضمن منطقة الشرق الاوسط . مواوضح التقرير انه لا سبيل لتجنب مثل هذه المواجهة المسلحة الا بزيادة الجهود من اجل الوصول الى تسوية سلمية متفق عليها .

وعبر يو ثانت عن اعتقاده بأن الفرصة ما زالت متوفرة للتوصل الى مثل هذه التسوية . وجدير بالاشارة هنا الى ان يو ثانت كان قد اعلن في مؤتمر صحافي في منتصف شهر أيلول عن عزم يارينغ العودة الى نيويورك لاجراء محادثات مع وزراء الخارجية المعنيين بقضية الشرق الاوسط .

كان اجتماع القمة لمنظمة الوحدة الافريقية المنعقد في النصف الثاني من شهر حزيران الماضي (راجع « شؤون فلسطينية » ، ٤ ، ص ١٩٦) قد قرر تشكيل لجنة مـن رؤساء الدول الافريقية مهمتها استخدام نفوذها لدى اسرائيل لاقناعهـا بتسهيل مساعي التسوية السلمية وتطبيـق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . وتألفت اللجنة في اواخر شهر آب من رؤساء الدول التالية : السنغال ، الكونغو كينشاسا ، الكميرون ونايجيريا . وصرحت المصادر المسؤولة في القاهرة بأن مصر ترحب بجهود اللجنة وستتعاون معها كليا وتضع أمامها كافة الحقائق المتعلقة بالازمة . وفي تل ابيب رحب مسؤول كبير في وزارة الخارجية بتشكيل اللجنـة واعلن عن استعداد اسرائيل لاستقبالها . ويبدو ان القائم بالاعمال الاسرائيلي في داكار ابلغ رئيس جمهورية السنغال موافقة بلاده الرسمية على استقبال لجنة الرؤساء الاربعة . ان مصالح اسرائيل وامتداداتها في افريقيا معروفـة لذلك لا غرابة في ان تقـوم باستقبال اللجنة بحفاوة ، وبعد انتهاء الزيارة سيعود كل شيء الى حاله وكأن شيئا لم يكن .

صادق جلال العظم